همس ورِقّة وشجن وشجار وغضب ولكن.. بلا كلام

عالم الصم والبكم هادىء ظاهريا.. صاخب تحت التيار

بغداد/ صافي الياسري

يوم كنا صغارا، كنا نلهو سوية، ولم تكن اللغة يوما عائقا يقف بيننا، او تمنع سبل التفاهم، ربما كانت الطفولة وعالمها وصورها واحاسيسها الشديدة القوة، تمتلك القدرة على الاتصال والتواصل بلغة او بوسائل اخرى غير الكلام المحكي.. ربما، ولكننا لم نكن ندرك ذلك، حتى فرقنا موسم الذهاب الى المدرسة، وذهب عندها كل واحد منا في سبيله - لكن صديقي - زهرون - صديق طفولتي - الاصم الابكم - كبر معي في نفس الحي الذي ولدنا فيه، وبقينا وبقيت علاقتنا قائمة، الا ان وسيلة الاتصال والتخاطب لم تعد بسيطة كما كانت عندما كنا اطفالا، فصرت احتاج مترجما، وكان دائما احد اولاده، فقد انجب اولادا اسوياء من زوجة سوية، هي ابنة عمه، وبحكم التعامل اليومي معه داخل العائلة، ومع اصدقائه من الصم والبكم، اضطر افراد العائلة، او تعلموا بالاحتكاك، لغة الاشارة واتقنوها ويعمل احد اولاده اليوم مذيعا للصم والبكم في احدى قنوات التلفزيون الفضائية الخليجية.

ويوم كنا نستخدم باص المصلحة رقم ٤- بين ساحة الميدان والباب الشرقي - مرورا بشارع الرشيد، كانت جمعية الصم والبكم، تتخذ من شقة في بناء يقع في الجهة المقابلة لمحلات - شركة جقماقجي - للتسجيلات الصوتية العريقة، مقرا لها، وكان الصم والبكم من انحاء بغداد يتجمعون فيها، وحين يخرجون بعد نهاية الدوام المحدد لها، مساءا، يتزامن في احيان كثيرة، ان نستقل الباص رقم ٤- سوية، ونحتل مقاعدنا في الطابق الثاني، حيث نستمتع باطلالة اجمل واجلى على شارع الرشيد ومحلاته وبناياته ورواده، وحيث المكان اكثر هدوءا من الطابق الاول وزحامه وصخبه وكثرة (الصاعدين والنازلين).

وحين كانوا يستقرون في مقاعدهم، موزعين غير مجتمعين على عادتهم الطفولية البريئة المحببة التي لا اعرف سر استمرارها معهم علما انهم تجاوزوا سن المراهقة، يبدأون في الالتفات الى من خلفهم، وتبدأ التعليقات الصاخبة الصامتة على كل ما يشاهدونه في الشارع باشارات سريعة مليئة بالحيوية والدلالات المفهومة المتنقة الرسم والمحاكاة، كانوا يتناقلون المعلومات والتعليقات الطريفة والجدية، بل وحتى يتشاجرون ويغضبون من بعضهم وهم يتنافسون على الدفع، دفع قيمة (البطاقة) للجابي، لكنك لا تسمع شيئا فتكتفي بالابتسام، وان كنت ترى ملامح الزعل بينة على وجوههم تعقبها بسرعة ابتسامة رضا وتصالح برقية، ومرة اخرى تضطر الى ان تخفي ابتسامة لا تعرف كيف تصفها، ربما هي ابتسامة اعجاب بحيوية وقدرة الانسان على ابتداع وسائل الاتصال، وطرق واليات تخدمه في حياته اليومية، في شتى المجالات.

وذات مرة، انتحى، فتى وفتاة، زاوية في الخلف، آخر الطابق، كان واضحا انهما من الصم والبكم ايضا، وكان واضحا ما يربطهما ببعض، برغم انهما كانا متحفظين في كل شيء الا في ابتساماتهما المتبادلة الحية، فقد كان تبادل حديث الاشارة بين بقية الشلة (فضيحة بالمعنى)، فالبقية من الشلة الموزعين على كراسي الطابق كله سيلمحون تلك الاشارات من كل الزوايا، وسيفهمون المراد بها وعندها، وستنتفي تلك الخصوصية الحميمة التي ينشدان في معتزلهما المرصود وان لم يرصد. لذا كانا يكتفيان بالنظر الى بعضهما نظرات معبرة، وباستخدام الاشارات (الخفية او المسروقة)، كانت تلك طريقتهم في الهمس كما يخيل الي، وربما كانت هي السبب الاساس في شعورهما بالحسرة لانهما بلا وسيلة ناجعة لتبادل الهمس الرقيق الذي كانت تستدعيه مشاعرهما.

يقول صديقي القديم زهرون - وهو يحدثني عبر احد اولاده، ان عاهتنا هذه كما تسمونها، في كل انحاء العالم تجد من قبل السلطة والمجتمع تفهما وتعاونا ورعاية، الا هنا مع الاسف، فنحن شبه منبوذين، ولا نستطيع الحصول على فرصة عمل في دوائر الدولة، ونحن مقصورون في عملنا على مهاراتنا اليدوية الحرفية، ولهذا فان اغلبيتنا ينخذون من منازلهم اماكن لممارسة عملهم وحرفهم، انا مثلا كما تعرف نجار، ولكن في منزلي، وذلك لعدم انسجامي في العمل مع الاخرين، او عدم قدرتنا جميعا من ابناء هذه الشريحة على التفاهم التام مع الاسوياء الذين سرعان ما يتملكهم الملل او العجز او حتى الغضب من وجودنا معهم في نفس موقع العمل نمارس نفس المهام، وعدم قدرتي شخصيا على تاجير محل اعمل فيه، بسبب ارتفاع الايجارات، كم اتمنى لوتوفرت لنا اماكن ومقاه ومنتديات خاصة بنا، لقد حلمنا بذلك، وفكرنا انه ممكن التحقق مع العراق الجديد، لكن امالنا خابت، وصارت الاوضاع اسوأ، فالحركة اقل، وحتى زياراتنا لبعضنا صارت (بالسنة حسنة) واغلق المقهى الذي كنا نلتقي فيه في الباب الشرقي بسبب الاوضاع الامنية المتردية وكثرة التفجيرات في المنطقة ومناطق بغداد الاخرى، لكننا والحمد لله لم تشملنا رياح وعواصف الافكار والسلوكيات الطائفية والعرقية وبقينا على فطرتنا وتالفنا ومحبتنا وحبنا للسلام والتاخي، ونحن لاسباب عديدة على علاقة قوية بامثالنا، كما اننا نحمل مشاعر طيبة مليئة بالانسانية للناس جميعا، لكننا نتواصل فيما بيننا بسهولة ولدينا هموم وامال مشتركة لذا فنحن بحاجة ماسة للالتقاء ببعضنا، انا الان اشعر بالكابة بسبب انقطاعي عن اصدقائي، برغم انني اتحدث مع عائلتي واولادي وزوجتي بسهولة، وهناك بعض الاصدقاء يفهمون حديثي بالاشارة، وان بشكل قليل، الا انهم يحاولون مشكورين بجد وصدق تهوين الامور علي وتسهيل سبل التواصل بيننا. العديد من اصدقائي تزوجوا من شريحتهم، وعوائلهم شجعتهم على ذلك، فهم اقدر على التفاهم فيما بينهم، لقد عانيت الكثير في البداية لاني تزوجت من امراة سوية الى ان علمتها لغة الاشارة، ولم يقم الحب بيننا الا متاخرا، فقد غصبها عمي (ابوها) على الزواج مني، وغصبني ابي على الزواج منها، بينما ابناء نفس الشريحة لا يواجهون هذا التعقيد، ولكن العوائل كلها تخاف من ان ننقل (العاهة) كما يسمونها الى اولادنا، فنتسبب لهم الألم والاذى، وفي الحقيقة نحن لا نشعر بالالم من وضعنا، فنحن نتحدث مع بعضنا، ولنا مجتمعنا الخاص، ولنا ثقافتنا الخاصة، وهمومنا وطموحاتنا المشتركة، نحن بشر، ولا ينقصنا كثيرا كوننا لا نتكلم كلاما مسموعا، الاخرون فقط هم الذين يظنون ذلك، وهم الذين يحاولون اشعارنا بالنقص ويفترضون اننا نتالم منه، وهذا هو ما يسبب لنا الالم والاذى ويجلب لنا التعقيد والمشاكل، فهم يظنون، اننا خارج المجتمع وحين يتصرفون على وفق ما تمليه عليهم ظنونهم، فانهم ينبذوننا فعلا، بينما نحن لا نختلف عنهم كثيرا، مثلما لا يختلف العربي عن الكردي في مقوماته البشرية، الا باللغة، لا اكلمك عن نفسي فانت تعرفني، ولكن عن اصدقائي، احدهم تزوج من امرأة من شريحتنا، وانجبا اولادا اسوياء ايضا، ومنهما ولدان يدرسان الان في كلية الاداب، وصديق اخر انجبت زوجته ولدين يحملان نفس مواصفات والديهما، وهما الان من اقدر رسامي بغداد، لا ادري لماذا يصر البعض ان بنا نقصا ولا يريدون معرفة انهم مخطئون في ذلك.

ويقول - حسام لفته حسين - تاجر سجاد - وهو من الصم والبكم ايضا - منذ نعومة اظفاري وانا اعمل في تجارة السجاد التي ورثتها عن والدي، ولم تقف (عاهتي) كما يسمونها في طريقي، فانا لا اشعر بالاختلاف الا من حيث اللغة، وقد تكيفت لهذا الاختلاف ووجدت له حلولا كثيرة وناجحة، وقد استطعت ان اكون علاقات تجارية واجتماعية متشابكة وكسبت زبائن عديدين في مختلف انحاء العراق حتى في القرى والارياف، وتمكنت خلال ايام الحصار على العراق، من التعامل مع عدد من البلدان العربية والبلدان المجاورة، وعقدت معهم اتفاقات على توريد عمال عراقيين، اغلبهم كانوا من شريحتي، وببساطة فان فقداننا نعمة السمع والكلام، لم تكن عائقا كبيرا امام ارادتنا في بناء علاقاتنا بمجتمعنا ومساهمتنا في خدمة وطننا، وطالما قمنا بنشاطات اجتماعية عامة، ونشاطات خاصة بشريحتنا، فقد جمع المتمكنون منا اموالا لمساعدة المحتاجين، والمرضى، ولدينا الكثير من المتفوقين في اعمالهم وحرفهم ومنهم اعداد عديدة من المشهورين المشهود لهم بالتفوق، ولدينا فنانون، وبعضنا يتقن القراءة والكتابة تماما انا مثلا اتقنها، واتقن الكتابة والقراءة بالانجليزية والكردية ومثلي كثيرون، لاتتعجب فانتم معشر الاسوياء لا تعرفون عن شريحتنا الكثير، ولدينا متخصصون في علوم الدين والفقه، كل الحواجز المقامة بيننا وبين المجتمع تكاد تكون وهمية او مصطنعة، ومن المكن ازاحتها بسهولة عند توفر الارادة العامة او الفاعلة.

الرعاية الاجتماعية والصم والبكم

بعض مسؤوليات دائرة الرعاية الاجتماعية، هي الاهتمام بهذه الشريحة وتقديم الخدمات والرعاية الضرورية لها، ويقول مدير قسم الورش والجمعيات في الدائرة، السيد علي مرشد، بعد توفر معطيات مادية جديدة لا باس بها وتوفر مساحات مرنة كافية للعمل، فضلا على التشجيع المستمر الذي نلقاه من المسؤولين لتفجير طاقات الابداع والابتكار لدى الصم والبكم، فقد عمل قسمنا على مستويين، الاول - هو العمل بهمة على اعادة ترميم وتاهيل الورش والجمعيات التعاونية الانتاجية للمعاقين، واستقطاب العاملين وفتح الابواب لهم للعمل على وفق المتوفر، والمستوى الثاني، اعداد الدراسات والخطط الانتاجية للارتقاء بنوعية ومسنوى العمل كماً ونوعاً، وعلى سبيل المثال، ناخذ جمعية الصم والبكم في منطقة المسبح، التي تنفذ عقودا لخياطة البدلات، فقد وصل انتاجها رقما قياسيا ما زال يتصاعد، ووفرت مردودا ماديا جيدا، وانتجت ايضا الاعلام العراقية بكميات جيدة وحجوم مختلفة، ويمكنكم زيارة معرضها الدائم للاطلاع على منتوجاتها ونشاطها.

اما جمعية الصم والبكم للنجارة في (تل محمد) فكانت منذ عامين او اكثر قد بدأت بانتاج غرف النوم للمتزوجين حديثا، بحسب المواصفات المطلوبة، وباسعار تعاونية، وما زالت هذه الجمعية تواصل عملها بنجاح، وكانت قد اعلنت ايضا استعدادها لاصلاح الاثاث القديم، والاجهزة الكهربائية المنزلية، ولهذه الجمعية مشاركات خاصة بالصم والبكم خارج العراق، منها مؤتمر الاستشارات الاقليمية التعاونية في دولة الكويت.

وتنفذ معاهد الصم والبكم التابعة لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية، مفردات برنامج ومناهج خاصة بها، فهي تدريبهم على النطق، كما تطبق منهاج وزارة التربية الدراسي للصفوف - الثاني والثالث والرابع الابتدائي - على الاطفال المنتسبين لهذه المعاهد، اما مفردات المنهج فهي - التربية الدينية واللغة العربية والرياضيات والاجتماعيات والعلوم، وبعض الدروس في الاعمال اليدوية والرسم، وينتهي هذا المستوى الدراسي عند الصف الثامن.

ويتكون ملاك كل معهد من مدير حاصل على شهادة جامعية، ومعلمين من ذوي الاختصاص، وباحثين اجتماعيين يحملون الشهادة الجامعية في علم الاجتماع او الخدمة الاجتماعية، او علم النفس، ويقوم هذا الملاك باعداد ملفات شخصية لكل معاق، ودراسة حالته وميوله وقابلياته، ومستوى ذكائه لتوجيهه تربويا ونفسيا واجتماعيا، بغرض دمجه في المجتمع، كما يتعاون ملاك المعهد مع الطبيب المختص الذي يتولى الاشراف الصحي والنفسي، والالتزام بتعليماته وتوصياته من اجل معالجة او متابعة حالة المعاق، الى جانب القيام بالدراسات والبحوث والاحصاءات عن معاقي المعهد، المشمولين بالرعاية في المجالات التعليمية والاقتصادية او الاجتماعية او الصحية، وتحقيق التعاون بين المعهد والبيت خدمة للمعاق.

وبشأن السبل الكفيلة بالنهوض بالواقع التعليمي للصم والبكم، ترى الباحثة وجدان محمد كريم من معهد الازدهار للصم والبكم، ضرورة القيام بالتوعية الاجتماعية الصحيحة، بين ذوي المعاقين لتصحيح الافكار الخاطئة والنظرة المتخلفة، وتهيئة امكانيات مادية وارتقائية للمعاهد وربطها بعجلة التطور المتسارعة في العالم، ومواكبة الجديد بمختلف السبل المباشرة وغير المباشرة، وتهيئة مناهج مستحدثة، واعداد ملاكات ادارية تتمتع بقدرات تؤهلها للعمل بفاعلية فائقة، وينبغي كذلك اعداد المعاهد على اسس مستوفية للشروط القياسية في التصميم والتأثيث، وتوفير المؤثرات الفكرية والذهنية وقاعات السينما والمسرح والتلفزيون والرياضة.

معمل نجارة لتدريب الصم والبكم

كتابة على الحيطان

مسؤولان ..عراقي وطلياني

عامر القيسي

نظرة بسيطة لسلوكيات العالم المتحضر تقنعنا ان المسؤولية هي فعل خدمة المواطن وحين يعجز اي مسؤول عن القيام بمثل هذا الفعل على وجه سليم ودقيق فانه يلملم اوراقه وينسحب ليترك كرسي المسؤولية لغيره احتراما لنفسه وللمواطن الذي اجلسه على كرسي المسؤولية .

الذي يحدث عندنا، ان المسؤول يعتقد بان كرسي منصبه هبة او وراثة لازمة له قانونا وشرعا فـ(يكافح) بكل جهده وقوته للتمتع بامتيازات المنصب دون ان يكون قادرا على الايفاء بالتزامات الواجب التي تحتمها عليه هذه المسؤولية.

في العالم المتحضر يقدم المسؤول استقالته دون ان يدفعه احد لذلك بمجرد ان يكتشف او يكشف له الواقع مستوى تقصيره في اداء واجبه ومهماته ولا يستخدم خلفه الشماعات الجاهزة التي يعلق عليها اسباب فشله في اي من مجالات الخدمات المكلف بها، يفعل ذلك دون ضجيج اعلامي ودون اتهام الاخرين بتنظيم المؤامرات ضده ودون ان يكون هو الوطني وغيره خونة للوطن والشعب !

بكل بساطة ينهض من مكتبه ويسلمه الى الاخر دون ضجيج. في احدى القصص التي تناقلتها الفضائيات، ان رئيس بلدية روما قدم استقالته فورا، ليس لان عاصمته طفحت بالمياه من اول زخة مطر ولا لان المواطن الطلياني (تطلع روحه) حتى يستطيع استخدام هاتفه الارضي ولا لان الكهرباء لاتزور بيوت روما ساعة في اليوم ولا لان الطلياني يرتجف بردا داخل بيته الخالي من النفط والغاز ولا لوجود مدارس بلا كتب ورحلات كافية ولا لان بلديته غارقة في الرشاوى والفساد الاداري ولا لان المواطن يشرب ماء" ملوثا بنسب تراكم المرض داخل جسمه فتظهر بعد حين ولا لان شوارع روما وازقتها تفوح منها روائح النفايات الملوثة للبيئة، ليس لكل هذه الاسباب ايها السادة الكرام، بكل بساطة، لان كلبا صغيرا مدللا لاحدى سيدات روما وقع لسوء حظه في حفرة في احد شوارع روما ومات المسكين غرقا فقدم رئيس البلدية استقالته لانه لم يكن بمستوى مسؤولية الحفاظ على حياة الجرو الطلياني المدلل!

فتأمل عزيزي القارىء وقارن وفكر!

المسؤول عندنا لايستمع الى مواطن ولايرد على شكوى في صحيفة ولا يكلف نفسه عناء معايشة الواقع ولا توجد لديه حلولا للمشاكل ولا يفكر بطريقة الحلول غير التقليدية ولا يريد لاحد ان يفكر بديلا عنه ولا يستمع الى نصائح الحكماء ولايريد،وهذا هو المهم والاهم، ان يترك المسؤولية لغيره، فهو قوي بحزبه والمواطن ضعيف لوحده،هو جاءت به الديمقراطية والمواطن عليه ان يخدمها لا ان تخدمه هو المسؤول الذي لاياتيه الباطل من خلفه ولا من امامه والمواطن هو المسؤول عما يحدث له لانه بكل بساطة (يفتقر) لروح المسؤولية التي يتحلى بها المسؤول الذي يمتلك الحقيقة كاملة والمواطن يتآمر عليه لضعف في ادراكه لمهمات المرحلة التآريخية الحساسة التي تحتاج الى مواطن من طراز آخر! هو من يعاني من كل اشكالات الحاضر والمواطن (بطران) بطلباته التي لاحدود لها ونزقه الذي لاينتهي .

كل ذلك يحدث ايها السادة ونحن نصب جام غضبنا ولومنا على المسؤول، من السيد الوزير الى الفراش الذي يقوم في بعض الاحيان بمهمات المدير !!

الاترون معي باننا نحمل السيد المسؤول فوق طاقته ولانرحم احدا وانا نطلب لبن العصفور في الوقت الذي اختفى فيه العصفور! لكل ذلك علينا ان نكون منصفين ومواطنين نتحلى بروح المسؤولية ونفهم طبيعة المرحلة وما علينا الا ان نقول، لكي نحمل صفة المواطنة، وداعا للماء والكهرباء والوقود والخدمات وحقنا في التعلم والعمل والسفر والسكن والرعاية الصحية وبقية ما نحتاجه في تفصيلات حياتنا اليومية لكي نريح ونستريح و(نرتفع) الى مستوى المسؤولية التي ينبغي ان يتحلى بها المواطن العراقي الصابر والمكابر.. نعم ايها السادة علينا ان نفعل كل ذلك...

لان الوطن في خطر !

الاطفال والنساء اول ضحايا الارهاب

بغداد/ علي المالكي

الملصق الذي يشاهده العراقيون هذه الايام على الجدران يقول بوضوح: ان الطفل العراقي يحميه رجل الامن من شرور قوى الظلام والتخلف، الملصق ينطوي على شاعرية بهجة، حين تقع عين الناظر على يد الشرطي التي تحتضن رأس الطفلة الصغيرة، الا ان هذه البهجة سرعان ما تتلاشى حين تصطدم عيناه بمرأى عشرات الاطفال الذين لم تجد عوائلهم سبيلا لرزقهم،سوى الاستجداء، ولطالما اعتصر الالم، ويعتصر قلوب العراقيين مشهد امهات شابات، افترشن منعطفات الشوارع، والساحات، بانتظار ان تتحرك يد من يستحون من ضمائرهم، ومن الله، فيمدون يد المساعدة، كما ان مايحز في النفس، رؤية عشرات الاطفال، وهم يحملون على ظهورهم الطرية اكياس القناني الفارغة وهم بعمر الورد.

يكسب طفل عراقي لا يتجاوز عمره العاشرة، يسمى خالد أمير، قوت يومه وهو هائم على وجهه في شوارع بغداد عن طريق بيع الحلويات عند إشارات المرور حيث أصبح العنف جزء من حياته اليومية. وقال الطفل اليتيم خالد: "أحياناً يضربونني أو يغلقون نافذة سياراتهم على يدي" وهو يشير إلى الاعلى ليقول: ان الجواب هناك في السماء الزرقاء مضيفا "الناس لا يهتمون بنا ولا من أين جئنا."

و تعج الشوارع بمئات الأطفال الصغار، مثلما هو أمير وأخته سلوى ذات الثمانيةاعوام وهم يكافحون بمرارة من أجل انتزاع لقمة العيش. وعادة ما يتعرض الأطفال الى اصناف الاستغلال.

وعبّرت الأمم المتحدة في آخر تقرير لها حول وضع حقوق الإنسان، عن قلقها من وجود "جنود أطفال" في عدد من النزاعات المسلحة، بمختلف أنحاء العالم، ومن بينهاالعراق. وأشار تقريرها (الذي يغطي الشهرين الأخيرين من العام الماضي) الى "إن طفلا، عمره يتراوح بين ١٠ الى١٣ سنة، يشتبه في أنه نفذ هجوما مسلحا استهدف قيادة الشرطة في كركوك، ويعتقد أنها المرة الأولى التي يشير فيها تقرير للأمم المتحدة لظاهرة تجنيد الأطفال في العراق، بعد أن درجت على الإشارة إلى وجود مثل هذه الظاهرة في دول أفريقية إبان عقد التسعينات، مثل أوغندا وسيراليون وليبيريا.

وأشار التقرير إلى أنّ ٢٠ بالمائة من ضحايا العنف في العراق هم من الأطفال والنساء.وان أطفال العراق، اطفالنا، تأثروا سلبا وعلى نحو خطير بالعنف المستشري وان هناك أطفالاً قتلوا في تفجيرات الارهابيين، وإطلاق غير مباشر للنيران. وتشير التقديرات إلى أنّ عدداً كبيراً من الأطفال في بلدنا، فقدوا إمّا واحدا أو كلا الوالدين، وكذلك افرادا مقربين من عائلاتهم، وسبق أن أصدرت الشبكة الموحدة للإعلام الإقليمي حول الشؤون الإنسانية، تقريراً حول الاستغلال اللاانساني للاطفال وقد جاء فيه أن مئات العائلات وجدت في تشغيل الأطفال مورد معيشة لها في ظل تردي الوضع الأمني، ويعزى ذلك إلى انتشار الفقر، وتزايد اعداد العاطلين عن العمل.وذكر مدير برنامج مكافحة المخدرات بوزارة الصحة، أن عدد حالات مدمني الانواع المختلفة من المواد المخدرة تضاعف خلال العام الماضي اذ ارتفع من ٣٠٠٠ حالة عام ٢٠٠٤ إلى ٧٠٠٠ حالة. ان اولئك الصغارالابرياء يمكن ان يكونوا مصدرا لعصابات الاجرام والارهاب، بسبب اوضاعهم المعاشية، وغياب الرقابة العائلية عليهم، الامر الذي يدعوا ادارة الدولة، ومنظمات المجتمع المدني المعنية بالطفولة الى ضرورة الاسراع بانتشالهم من هاوية السقوط في فخاخ الجريمة، وخسارتهم التي يتضرر جرائها المجتمع، انها مهمة انسانية نبيلة تشرف من يتصدى لها.اليتامى يشكرون الشعراء ولكن القصائد لاتقدم لهم حقيبة مدرسية مملؤة بالدفاتر واقلام الرسم والحلوى.

أحدهم يطرق بابك صباحاً

بابل/ تحرير الساير

تعد ظاهرة التسول أحدى الظواهر ألاجتماعية التي انتشرت بشكل واسع بعد سقوط النظام السابق على الرغم من بعض التحسينات التي طرأت على ألحالة ألمعاشية بالنسبة للفرد من خلال ارتفاع نسبه الرواتب ألشهرية بالنسبة للموظفين والمتقاعدين وكذلك تفعيل قانون الضمان الاجتماعي هذه الأمور التي توقعنا منها خيرا ورغم ذلك وجدنا أنها قد أفرزت لنا عددا كبيرا من المتسولين يبتزون المواطن للحصول على المال وان كان قليلا او باتخاذهم حالات مرضية قد تعرض لها ذوويهم للحصول على العطف ورغبة المواطن في مساعدتهم.

ولمعرفة أسباب انتشار هذه الظاهرة ألمؤلمة والغير مقبولة في مجتمعنا التقينا بالسيد أبو حيدر وهو صاحب مكتب طباعة واستنساخ وسألناه عن سبب انتشار هذه ألحاله قائلا: في زمن النظام السابق كانت هناك حالات قليلة وتكاد ان تكون معدومة أما ألان فقد انتشرت بشكل كبير ولا اعتقد أن السبب هو تدني الوضع المادي لأننا نلاحظ أن معظم المتسولين من فئة الشباب التي بامكانها ان تعمل.

أما الشاب خليل وهو صاحب مقهى انترنيت فقد تحدث عن هذه الظاهرة قائلا :- أنها ظاهرة مؤلمة جدا ولا يمكن تركها تتفاقم أكثر من ذلك لأنني في اليوم الواحد أواجه ما لا يقل عن عشرة أشخاص غالبيتم من النساء والاقل هم من الرجال وأحيانا أطفال أنها ظاهرة مؤلمة خاصة وإننا نعيش في بلد غني جدا.

وتقول السيدة أم نضال وهي ربة بيت أمام الإنسان الكثير من الفرص والكثير من الأعمال ألمحترمة التي بامكانه مزاولتها قبل ان نفكر بمد يدنا للآخرين كما ان أصحاب الخير كثيرون والذي يريد ان يحصل على لقمة العيش بكرامه يجد السبل لذلك. خاصة النساء لان تسول المرأة ظاهرة مؤلمة وغير صحيحة إطلاقا أنها كارثة اجتماعيه وأخلاقية نتمنى من الحكومة معالجتها بشتى الوسائل.

وعند سؤالي لأحد الأطباء النفسانيين عن أسباب التسول أجاب: أحيانا تكون ظاهرة التسول ناتجة عن وجود حالة نفسية لدى الشخص قد تكون حالة انفصام ألشخصية أو قد تكون ناتجة عن وجود عقدة النقص التي ينتج عنها رغبة المريض بكسب عطف الآخرين واهتمامهم به من خلال إعطائه المال وهذا يحصل لدى المعاقين وقد تكون ناتجة من حالة الخرف التي يصاب بها الكبار في السن او حالة من حالات الثأر من النفس ومن الأهل عن طريق بذل ماء الوجه كما يقولون وهذه الحالة تكثر لدى الأشخاص الذين تعرضوا للاساءة من الأهل أو أنهم شاركوا في ضرر الأشخاص المقربين لهم وقبل فترة واجهت مثل هذه الحالة كانت لأمرأة مات ابنها الرضيع فأرادت معاقبة نفسها على أساس أنها قد ساهمت في وفاته لان سبب الوفاة نتج عن نومها أثناء رضاعته. وأحيانا قد تكون هذه الحالة ناتجة من ضعف الحالة المادية مع وجود الكسل فيحصل إدمان على التسول لان جمع المال بهذه الطريقة يكون سهلا وان كان بطريقة فيها اهانة للكرامة الانسانية.

أما المتخصصون في علم الاجتماع فقد أكدوا على وجود هذه الظاهرة في كل بلدان العالم المتحضرة منها والمتخلفة الفقيرة والغنية على حد سواء ولكن الفرق بينهما يكون في نسبة وعدد الأشخاص المنتمين لهذه الشريحة.

أما السيد أبو ليث وهو تربوي متقاعد فقد كان له رأي أخر في سبب انتشار هذه الظاهرة حين قال: ان انتشار ظاهرة التسول ناتج بالدرجة الأولى من ضعف ألدوله وعدم اهتمامها بالمواطن بالشكل المطلوب فلو وفرت ألدوله دورا محترمة ومتعددة للمسنين ولو وفرت الدولة فرص عمل مناسبة لكل العاطلين عن العمل أو شمول المحتاجين فعلا بقانون الضمان الاجتماعي لما وجد هذا العدد من المتسولين.

نموذج كفاح

السيدة أم بشار وهي أرملة وأم لخمسة أولاد وبنتين وقد حدثتنا عن تجربتها في الحياة قائلة:- عندما توفي زوجي ترك لي عشرة أبناء أكبرهم في العاشرة من العمر وأنا امرأة أعيش في احد الأحياء ألشعبية في ألمحافظة، وقد واجهت ظروفا صعبة جدا في تربية الابناء والحصول على لقمة العيش الا اني رغم ذلك لم امد يدي لاحد بل عملت بمساعدة اهلي والطيبين من الاقارب.

❖ وماذا كنت تعملين لتوفير متطلبات المعيشة؟

- كنت اصنع الطرشي في البيت وابيعه واصنع المكانس ثم فتحت في بيتي حضانة للاطفال من ابناء الاقارب والذين لدى امهاتهم وظائف تمنعهم من الاهتمام بهم، ولم يكن هذا سهلاً لقد عانيت كثيرا الا انني صبرت بمساعدة الخيرين الذين وفروا لي رأس المال للعمل.

والتقيت باحد المتسولين الذين لايواجه الشخص صعوبة في العثور عليهم لأنهم موجودون في كل مكان في الشارع والمحال وعيادات الأطباء والجوامع والكراجات العامة وقرب الجامعة وداخلها ولاتتفاجأ ان وجدتهم يطرقون عليك الباب وأنت في دارك .

لم يوافق في البداية الحديث معي الا بعد ان اعطيته مبلغ لابأس به من المال...!! ورغم ذلك ابدى الطفل تمرده في الحديث معي حين سألته:-

❖ هل تود الدخول إلى ألمدرسة؟

-لا .. لا اريد ذلك..!

اما الطفل الصغير فقد أجاب : نعم أريد الدخول إلى ألمدرسة ولكن أهلي لا يقبلون ذلك لأننا نقوم بجمع المال من الناس.

❖ وهل تحصلون على مال كثير ؟

- نعم . ولكن هناك أشخاص يضربوننا ويسمعوننا كلمات بذيئة ويطردوننا من المحال أو السيارات فنهرب منهم دون أن نأخذ المال.

ومقابل كثرة المتسولين نجد الكثير من الجمعيات والمؤسسات الداعية الى حماية الطفولة والايتام وحقوق الانسان دون ان تقدم شيئاً فعلياً وعملياً في مكافحة هذه الظاهرة.

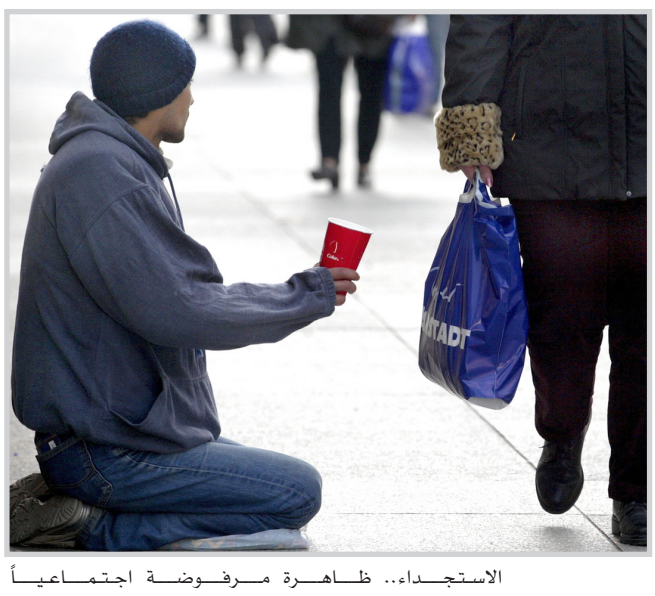
الاستجداء.. ظاهرة مرفوضة اجتماعياً